الأستاذ الدكتور:الياس مستاري

السنة الأولى ليسانس

المجموعة:ج/السداسي الثاني

المحاضرة السابعة:النقد و قضية الإعجاز.

شغل القرآن الكريم العرب منذ أن أوحى الله سبحانه إلى رسوله الكريم، فبهرهم ببيانه، وأعجزتهم بلاغته، وأدرك العرب منذ البداية أنهم أمام كلام لا يشبه ما كان عليه شعرهم ولا خطابتهم ولا أمثالهم، واكتفى العربي الفصيح البليغ باللمحة الدالة، وأدرك بإحساسه مواضع الإعجاز فطرة، ثم تغير الزمان، وتغيرت السليقة، وأخضع البحث العلمي كل شيء للتحليل والدرس، ونشط المتكلمون في مجادلة أهل الملل الأخرى، وكان الحديث عن إعجاز القرآن ومواضع ذلك فيه أمرا شغل عددا منهم، فساعد كل ذلك على نمو الدراسات النقدية والبلاغية، بشكل مباشر حين تناول ذلك بلاغة القرآن ومواضع إعجازه.

وقد كان المتكلمون الذين تناولوا مسألة الإعجاز فريقين: المعتزلة وفيهم النظر والجدل على مقاييس التزموها، وكان لبحوثهم في إعجاز القرآن أهمية كبرى لأنهم شغلوا بالقرآن أيضا من وجه آخر يتعلق بـ(خلق القرآن).

والفريق الثاني: الأشاعرة، وهم أعداء المعتزلة من حيث الموضوعات الكلامية، ولكن كلا الفريقين أسهم في معالجة فكرة الإعجاز،فقد قال بعض المعتزلة كالنظام: إن الله صرف عباده عن معارضة كتابه، بمعنى أن الإعجاز هو بالصرفة، وهي عبارة تتردد كثيرا في هذا الموضوع. وقد رأينا في محاضرة سابقة كيف أن الجاحظ رد عليه. ثم رد عليه كذلك أحمد بن محمد الخطابي(ت388ه) في رسالته التي وضعها في (بيان إعجاز القرآن)، وأنكر أن يكون الإعجاز في الأخبار عن الأمور التي ستقع في المستقبل، وأرجعه إلى بلاغته، وسر إعجاز القرآن هو أنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني، هذه المعاني منسقة في نظم من الألفاظ موجز. وجاء أبو بكر الباقلاني (403ه) الأشعري ووضع كتابه إعجاز القرآن، وبين أن معجزة نبينا هي القرآن وهاجم فكرة الصرفة بشدة، ثم فصّل وجوه إعجاز القرآن وجعلها ثلاثة:

الإخبار عن الغيوب، وورود قصص الأنبياء والأولين والرسول(ص) أمي لا يقرأ ولا يكتب. ولا يتأتى إيراد ذلك إلا عن تعلم، وأنه "بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" وهو يعني بلاغة القرآن.

وفرّع من ذلك فروعا:

1- فهو خارج عن المعهود من نظام كلامهم كله.
2- لم يطرد للعرب كلام فصيح كهذا بمثل طوله وقدره.
3- عجيب نظمه لا يتفاوت ولا يتباين.
4- نظم القرآن وقع موقعا يخرج عن عادة كلام الإنس وكلام الجن.
5- أسلوبه خاص، وقريب إلى الفهم، بعيد عن الوحشي والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة.

أما القاضي أبو الحسن عبد الجبار الهمذاني المعتزلي في كتابه (إعجاز القرآن)، فقد تقدم خطوة كبيرة في دراسة الإعجاز في رفضه للصرفة ومحاولته فهم النظم وتبيين أسسه، بما مهد إلى ظهور عبد القاهر الجرجاني وأيضا نظريته في علم المعاني. وقال :

إن كانوا يقصدون أنهم انصرفوا عن المعارضة لتعذر ذلك عليهم وعجزهم عن مجاراته مع توفر الدواعي فذلك مقبول، أما إن كانوا قادرين عليه ولكن صرفوا فهذا غير مقبول.